# الدلالة الصوتية في ( المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ) لآبن عطية الأندلسي ( ت ٥٤٦ هـ )

بحث مستل من رسالة الماجستير الموسومة ( البحث الدلالي في تفسير آبن عطية الأندلسي ( ت ٥٤٦ هـ ) " المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز " )

أ. د. عبد الكاظم محسن الياسري  م .م . رسل عباس محمد شيروزة

**الملخص**

تعد الدراسة الصوتية محل عناية العلماء والدارسين من القدماء والمحدثين , إذلا نجد كتابا من كتب القدماء يخلو من أشارات وتوجيهات صوتية , وقد وجدنا إشارات إلى هذه المسألة عند علماء العربية في وقت مبكر من نشوء الدراسات اللغوية فقد نسبت المصادر إلى عدد من العلماء القول بوجود صلة بين الصوت والمعنى وقد عزيت هذه الفكرة إلى ( عباد الصيمري )

وقد اعتنى بهذه المسألة من علماء العربية الخليل في كتابه ( العين ) وكتاب سيبويه ( الكتاب ) تشير إلى وجود رابط وصلة بين دلالة الصوت والمعنى المعبر عنه .

وعلى الرغم من المحاولات الكثيرة التي خلفها العلماء لربط الصوت بالمعنى الدال عليه في اللفظة الواحدة إلا إنها تبقى من المسائل التي لم يصل فيها البحث العلمي إلى نتيجة قاطعة مثلها مثل نظريات نشأة اللغة التي مازال العلماء فيها بين مثبت ومنكر , إلا أننا لا يمكننا أن ننكر ما لهذه المسألة من مظاهر تمثلت في ألفاظ القرآن الكريم الذي أمتازت ألفاظه بأنها تسير مع دلالتها جنبا إلى جنب في رسم المشاهد القرآنية التي يسهم كل من اللفظ ودلالته في إيصالها إلى المتلقي , ولعل ذلك كان سرا من الأسرار الكامنة التي تركت أثرا كبيرا في جمالية الألفاظ القرآنية وسحرها , وأن هذا الأرتباط بين الصوت والمعنى في الألفاظ أدى بها إلى أن أي تغيير يصيب أحد أصواتها ينقلها من دلالة إلى أخرى و إلى ذلك تنبه ابن عطية وذكر ذلك في أثناء وقوفه على الظواهر الصوتية التي عرض لها في (المحرر الوجيز ) .

## المقدمة

تعد الدراسة الصوتية محل عناية العلماء والدارسين من القدماء والمحدثين , إذ لا نجد كتابا من كتب القدماء يخلو من إشارات وتوجيهات صوتية , وقد وجدنا إشارات إلى هذه المسألة عند علماء العربية في وقت مبكر من نشوء الدراسات اللغوية فقد نسبت المصادر إلى عدد من العلماء القول بوجود صلة بين الصوت والمعنى وقد عزيت هذه الفكرة إلى (عباد الصيمري ) (١) .

وقد اعتنى بهذه المسألة من علماء العربية الخليل وسيبويه إذ وردت إشارات في كتاب الخليل ( العين ) و كتاب سيبويه (الكتاب) تشير إلى وجود رابط وصلة بين دلالة الصوت والمعنى المعبر عنه يقول الخليل : ( الصوقرير حكاية صوت طائر يصوقر في صياحه تسمع نحو هذه النغمة في صوته)(٢) ويقول سيبويه : ( من المصادر التي جاءت على مثال واحد حين تقاربت المعاني قولك»النزوان والنقزان والقفزان « وإنَّما هذه أشياء في زعزعة البدن وآهتزازه في آرتفاع )(٣) ومن العلماء الذين ألتفتوا إلى هذه المسألة وأولوها عنايتهم ابن جني ( ت ٣٩٢ هـ ) فقد درسها في كتابه (الخصائص ) وتحدث عنها

في غير موضع إذ يقول : ( فالخضم لأكل الرطب كالبطيخ والقثاء وما كان نحوهما من المأكول الرطب , و ( القضم ) للصلب اليابس نحو قضمت الدابة شعيرها ونحو ذلك فاختاروا الخاء لرخاوتها للرطب والقاف لصلابتها لليابس حذوا لمسموع الأصوات على محسوس الأحداث )(٤) .

ويبدو مما تقدم أنَّ الاختلاف الوارد في دلالتي كل من مفردتي ( قضم ) و ( خضم ) ناتج من اختلاف دلالتي صوتي ( القاف والخاء ) وبذلك يكون للصوت أثر كبير في تحديد دلالة المفردات يؤدي تغير الصوت في المفردة إلى تغير دلالتها ومثال ذلك قولهم في دلالة (نضخ ونضح ) قال ابن جني : (النضح للماء ونحوه والنضخ أقوى من النضح قال الله سبحانه : ]فِيهِمَا عَيْنَانِ نَضَّاخَتَانِ [ (الرحمن : ٦٦ ) فجعلوا الخاء لرقتها - للماء الضعيف والخاء -لغلظها - لما هو أقوى منه )(٥) وقريب من ذلك ما أشار إليه ابن جني في دلالة أصوات مفردة ( بحث ) يقول : ( وذلك قولهم بحث - فالباء لغلظها تشبه بصوتها خفقة الكف على الأرض والحاء لصلحها تشبه مخالب الأسد وبراثن الذئب ونحوهما إذا غارت في الأرض والثاء للنفث والبث للتراب )(٦)

على الرغم من المحاولات الكثيرة التي خلفها العلماء لربط الصوت بالمعنى الدال عليه في اللفظة الواحدة إلا أنَّها تبقى من المسائل التي لم يصل فيها البحث العلمي إلى نتيجة قاطعة مثلها مثل نظريات نشأة اللغة التي ما زال العلماء فيها بين مثبت ومنكر , إلا أنَّنا لا يمكننا أن ننكر ما لهذه المسألة من مظاهر تمثلت في ألفاظ القرآن الكريم الذي امتازت ألفاظه بأنَّها تسير مع دلالتها جنبا إلى جنب في رسم المشاهد القرآنية التي يسهم كل من اللفظ ودلالته في إيصالها إلى المتلقي(٧) ولعل ذلك كان سراً من الأسرار الكامنة التي تركت أثراً كبيراً في جمالية الألفاظ القرآنية وسحرها فـ ( القرآن الكريم كان يختار الكلمة قاصدا لفظها ومعناها في موقعها المحدد أي أنَّ القرآن الكريم كان يأخذ المعنى المعجمي ويعنى بالصورة الصوتية للكلمة وهذا الارتباط بين اللفظ - أي الصوت - والمعنى في الكلمة القرآنية يؤلف وحدة لا سبيل إلى الفكاك منها )(٨)

وإنَّ هذا الارتباط بين الصوت والمعنى في الألفاظ أدى بها إلى أنَّ أي تغيير يصيب أحد أصواتها ينقلها من دلالة إلى أخرى وإلى ذلك تنبه طائفة من المفسرين وكان في طليعتهم ابن عطية وذكر ذلك في أثناء وقوفه على الظواهر الصوتية التي عرض لها في تفسيره (المحرر الوجيز) ومنها:

**أولا- تخفيف الهمزة وتحقيقها :**

وصف القدامى الهمزة بأنَّها صوت شديد مجهور(٩) حتى أنَّ الخليل ذكر مخرجها من ( أقصى الحلق مضغوطة فإذا رفه عنها لانت )(١٠) وتبعه سيبويه في ذلك إذ قال : ( ولحروف

العربية ستة عشر مخرجا فللحلق منها ثلاثة , فأقصاها مخرجا الهمزة والهاء والالف )(١١)

ولم يبتعد ابن جني عما ذكره الخليل وسيبويه في تحديد مخرج الهمزة بقوله : ( واعلم أنَّ مخارج هذه الحروف ستة عشر ثلاثة منها في الحلق فأولها من أسفله وأقصاه مخرج الهمزة )(١٢)

ويبدو مما تقدم إجماع القدامى على صفة الهمزة ومخرجها ألا أنَّ المحدثين كان لهم مذهب آخر يختلف عما ذهب إليه القدامى , وهي عندهم صوت ( لا بالمجهور ولابالمهموس ) وهذا ما ذهب إليه إبراهيم أنيس وغيره من المحدثين , وعلل ذلك بقوله : ( عند النطق بالهمزة تكون فتحة المزمار مغلقة إغلاقاً تاما لذلك لا نسمع لهذا ذبذبة الوترين الصوتين ولا يسمح للهواء بالمرور إلى الحلق إلا حين تنفرج فتحة المزمار وذلك الانفجار الفجائي هو الذي ينتج الهمزة )(١٣)

في حين ذهب بعضهم إلى أنَّها صوت ( مهموس مرقق ) وذلك لأنَّ الأوتار ا لصوتية عند النطق بالهمزة تغلق تماما وذلك الإغلاق لا يحقق لنا الاهتزاز الذي يعد صفة من صفات الجهر(١٤) ووصف الدكتور رمضان عبد التواب ما ذهب إليه الدكتور إبراهيم أنيس بالغرابة وذلك لأنَّ الدكتور إبراهيم أنيس عرف الجهر : على أنَّه الصوت الناتج من اهتزاز الوترين الصوتين والهمس : هو الصوت الذي لا يهتز معه الوتران وبذلك تكون الأوتار الصوتية أمَّا ساكنة أو متذبذبة ولاثالث لهاتين الإمكانيتين وبذلك تكون الهمزة صوتا مهموسا لا كما ذهب إليه القدامى بأنَّها صوت مجهور(١٥) ولأنَّ انحباس الهواء في المزمار ثم انفراج المزمار فجأة عند النطق بالهمزة يحتاج الى جهد عضلي مالت أكثر القبائل العربية إلى تخفيف الهمزة رغبة منها في التخلص من ذلك الجهد عند النطق بها .(١٦) وذلك التخفيف نلحظه واضحا عند القبائل الحضرية التي تقع في شمال الجزيرة وغربها(١٧) .

وكانت تخفف الهمزة أمَّا بحذفها أو بإبدالها أو جعلها بين بين ولهذه المظاهر أحكام ذكرها علماء العربية

في مصنفاتهم ونتج عن تلك المظاهر تغيير في دلالة الألفاظ وفيما يأتي عرض لطائفة من الألفاظ التي ذكرها ابن عطية في تفسيره وأشار إلى تخفيف الهمزة فيها :

١- سورة و سؤرة :

من المفردات التي اختلفت دلالتها بين الهمز والتخفيف لفظة ( سورة ) فقد يهمزها بعض العرب فيقول ( سؤرة ) ولا يهمزها الآخرون فيقولون : ( سورة ) وقد أشار ابن عطية إلى هذا في معرض حديثه عن معنى ( السورة ) في مقدمة كتابه يقول : « وأمَّا السورة فإنَّ قريشا كلها ومن جاورها من قبائل العرب كهذيل , وسعد بن بكر , وكنانة , يقولون : سورة بغير همز وتميم كلها وغيرهم أيضا يهمزون فيقولون : سؤر وسؤرة .

فأمَّا من همز فهي عنده كالبقية من الشيء والقطعة منه التي هي سؤر وسؤرة من أسأر إذا أبقى . ومنه « سؤر الشراب « ومنه قول الأعشى - وهو ميمون بن قيس - : (١٨)

فبانَتْ وقد أسأَرَتْ في الفؤا
دِ صَدْعاً على نَأيِها مُسْتطيرا

أي أبقت فيه .

وأمَّا من لا يهمز فمنهم من يراها من المعنى المتقدم إلا أنَّها سهلت همزتها . ومنهم من يراها مشبهة بسور البناء أي القطعة منه , لأنَّ كل بناء فإنَّما يبنى قطعة بعد قطعة , وكل قطعة منها

سورة , وجمع سورة القرآن سور بفتح الواو , وجمع سورة البناء سور بسكونها ...»(١٩) وفي حديثه عن دلالة لفظة ( سورة ) ذكر ما ذهب إليه أبو عبيدة في تفسير لفظة ( سورة ) قال أبو عبيدة:( وإنَّما سُمِّيت سورةً لا تُهمز لأنَّ مجازها من سُور البناء أي منزلة ثم منزلة، ومَن همزها جعلها قطعةً من القرآن، وسميت السورة لأنَّها مقطوعة من الأخرى، فلما قرن بعضها إلى بعض سُمِّي قرآنا. قال النَّابغة : (٢٠)

ألَمْ تَرَ أنّ اللّه أعطاك سَوْرَةً
ترى كُلَّ مَلْكٍ دُونَها يتَذبذبُ

أي منزلة، وبعضُ العرب يهمز سورة، ويذهب إلى (أسأرتُ). نقول: هذه ليست من تلك.)(٢١)

ومحصلة ذلك أنَّ دلالة لفظة (سورة ) تختلف بين الهمز والتخفيف فهي حينما تهمز تكون من (اسأرت) إذا أبقيت بقية, وحينما تخفف تكون من سورة البناء (٢٢) وإنَّ الذي ذكره ابن عطية في

تفسير لفظة ( سورة ) لايختلف عما ذكره أبو عبيدة في ( مجاز القرآن ) (٢٣)

وفضلا عما تقدم أنَّ ابن عطية لم يقف عند المستوى الصوتي وأثره في بيان الفرق الدلالي بين سورة القرآن والبناء بل أردفه بالمستوى الصرفي وأثره في الدلالة فذكر أنَّ سورة القرآن تجمع على زنة ( سور ) بضم السين وفتح الواو وسور البناء ( سور ) بضم السين وسكون الواو , واختلاف صيغ جمع اللفظتين له أثر في اختلاف دلالتهما ومن ذلك نجد تعاضد الجانبين الصرفي والصوتي في بيان الفرق الدلالي بين اللفظتين .

ويبدو أنَّ ابن عطية وقف عند الإشارة إلى الفرق الدلالي بين اللفظتين ولم يرجح أيّا منهما الأصل في سورة القرآن , ولعل الراجح من ذلك أنَّ الأصل في سورة القرآن لفظة (سورة ) غير المهموزة و ليست من( أسأرت ) بمعنى أبقيت فيه بقية وإن قرأت بالهمزة فهو خروج عن

الأصل و(سورة ) بغير الهمز تبدو أكثر آنسجاما مع سياق الآية التي آستعملت فيه المفردة في القرآن الكريم(٢٤).

٢- سأل - سال :-

من المفردات التي أشار ابن عطية إلى اختلاف دلالتها بين الهمز والتخفيف ما ورد في قوله تعالى : ]سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ [ ( المعارج : ١ ) فقد قرىء الفعل ( سأل ) بالهمز وبدون الهمز ( سال ) وهي قراءة نافع وابن عامر(٢٥) .

ولا شك أنَّ هناك اختلافا كبيرا بين المفردتين إذ إنَّ تغيير هذا الصوت بين الهمز والتخفيف ترك أثرا في دلالة المفردة يقول ابن عطية : فمن حقق بقراءته مفردة ( سأل ) أراد بها : « سؤال

الكفار عن العذاب « (٢٦) أمَّا من خفف فأراد بها : «هو من سال يسيل : إذا جرى وليست من معنى السؤال,... وقال زيد بن ثابت : في جهنم واد يسمى سايلاً . والاخبار هاهنا عنه قال ابن عطية ويحتمل إن لم يصح أمر الوادي أن يكون الإخبار عن نفوذ القدر بذلك العذاب قد استعير له لفظ

السيل لما عهد من نفوذ السيل وتصميمه «(٢٧) وقد أشار الطبري ( ت ٣١٠هـ ) إلى هذا المعنى يقول : ( آختلف القراء في قراءة قوله :] سَأَلَ سَائِلٌ [ فقرأته عامة القراء في الكوفة والبصرة]سَأَلَ سَائِلٌ [ بهمز سأل سائل بمعنى سأل سائل من الكفار عن عذاب الله , بمن هو واقع وقرأ ذلك بعض قراء المدينة:] سَالَ سَائِلٌ [ فلم يهمز سأل ووجهه إلى أنَّه فعل من السيل )(٢٨) وأضاف الزمخشري ( ت ٥٣٨ هـ ) على ما ذكره الطبري

بقوله : (وقرئ « سال سائل » وهو على وجهين أمَّا أن يكون من السؤال وهي لغة قريش , يقولون سلت تسأل , وهما يتسايلان ؛ وأن يكون من السيلان . يؤيده قراءة ابن عباس ( سال سيل ) والسيل مصدر في معنى السائل , كالغور بمعنى الغائر . والمعنى : اندفع عليهم وادي عذاب فذهب بهم وأهلكهم )(٢٩ )

ويتضح مما تقدم أنَّ الزمخشري ذكر دلالتين للفعل ( سال ) على معنى السؤال في لغة قريش ودلالته على السيل والجريان لوادي العذاب الذي أرسله الله تعالى على الكفار , ولابن عطية رأي آخر في أمر الوادي الذي ذكره معظم المفسرين يقول : « يحتمل أن لم يصح أمر الوادي أن يكون الأخبار عن نفوذ القدر بذلك العذاب قد استعير له لفظ السيل لما عهد من نفوذ السيل وتصميمه «(٣٠)

وفي ضوء ما تقدم تكون دلالة الفعل ( سأل ) بالهمز مختلفة عن دلالة الفعل ( سال ) بدون همز إذ يؤدي كل منهما وظيفة لا يؤديها الآخر لأنَّ دلالة الأول مأخوذة من السؤال عن العذاب(٣١) أمَّا الثاني فدلالته في شمول هذا العذاب الذي نزل بهؤلاء القوم فهو مثل السيل (٣٢) الذي يأتي على الكافرين فيكون فيه إهلاكهم , ولعل الراجح في ذلك قراءة من قرأ ( سأل ) بالهمز وذلك لأنَّها أكثر انسجاما مع سياق الآية وسبب نزولها الذي ذكره ابن عطية من أنَّ الآية نزلت على أثر سؤال الكفار عن العذاب , كما أنَّ قراءة الهمز موافقة لرسم المصحف.

٣- هيت - هئت :-

من المفردات التي أشار ابن عطية إلى اختلاف دلالتها بين الهمز والتخفيف ما ورد في قوله تعالى : ]وَرَاوَدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَنْ نَفْسِهِ وَغَلَّقَتِ الْأَبْوَابَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ [ (يوسف: ٢٣ ) يقول : ( قرأ نافع وابن ذكوان ( هيت لك ) بكسر الهاء من غير همز وفتح التاء وهشام كذلك إلا أنَّه يهمز وقد روي عنه ضم التاء وابن كثير بفتح الهاء وضم التاء والباقون بفتحهما )(٣٣) وعلى الرغم من اختلاف القراءتين في حرف واحد فقد أعطى ذلك الاختلاف بعدا دلاليا واسعا للمفردة إذ يقول ابن عطية : «وقرأ ]هَيْتَ[ ومعناه الدعاء أي تعال وأقبل على هذا الأمر, قال الحسن : معناها هلم ...وقرأ هشام ] هِئتُ [بكسر الهاء والهمز , ضم التاء ... وهذا يحتمل أن يكون من هاء الرجل يهيء أذا أحسن هيئته - على مثال جاء يجيء - ويحتمل أن يكون بمعنى تهيأت , كما يقال : فئت وتفيأت بمعنى واحد "(٣٤) و يمكننا أن نشير إلى موقف مشابه لموقف ابن عطية تبناه الزمخشري يقول : ( ]هَيْتَ [بفتح الهاء وكسرها مع فتح التاء , وبناؤها كبناء أين وعيط . وهيت كجير وهيت كحيث . وهئت بمعنى تهيأت يقال هاء يهيء كجاء يجيء : إذا تهيأ ... )(٣٥)

ويتضح مما تقدم أنَّ ( هيت ) التي بالياء بمعنى هلم أي تعال(٣٦) ,أمَّا تلك التي قرئت بالهمز (هئت) فهي من تهيأت والهيء : أي الحسن الهيئة من كل شيء(٣٧) , وهنا نصل إلى ابن عطية لنبين موقفه مما تقدم فيتضح أنَّه قد أدرك الفرق الدلالي بين لفظة ( هيت ) التي بالتخفيف وبين ( هئت ) التي بالتحقيق , والراجح أنَّ كلا المعنيين في القرآن الكريم والقراءة القرآنية مطلوب وكليهما مقصود في إبراز الواقعة من جهة وذلك لأنَّ الوقت الذي استعدت فيه وتهيأت له دعته إلى نفسها ومن جهة أخرى مثّل اختلاف القراءة في الآية الكريمة الإعجاز اللغوي القرآني في الأحاطة بالمعنى واللهجة .(٣٨)

**ثانيا : التخفيف والتشديد :-**

تنبه علماؤنا الأوائل إلى ظاهرتي التشديد والتخفيف وأثرهما في الدلالة ويبدو هذا واضحا في مؤلفاتهم من خلال الحديث عما تتركه هاتان الظاهرتان من أثر في دلالة المفردة .

فقد أشار ابن جني إلى الأثر الدلالي الذي توحي به ظاهرة التشديد قائلا : ( أنهم جعلوا تكريرالعين في المثال دليلا على تكرير الفعل فقالوا كسّر وقطّع )(٣٩) فالتضعيف الحاصل في عين الفعل دل على الإستمرار والمداومة والتكرار للفعل .

وتدخل ظاهرة التشديد في ميدان الأفعال والأسماء وتترك أثرا دلاليا في تلك المفردات , وقد أشار ابن عطية إلى ما تؤديه هذه الظاهرة من دلالات في عدد من الآيات القرآنية موضحا آختلاف القراء في قراءة هذه المفردات ذاكرا دلالتها في القراءات المختلفة ومن المعاني التي أشار إليها .

أ- المبالغة :-

أشار ابن عطية إلى طائفة من الألفاظ التي قرئت بالتشديد وذكر أنَّ القصد من هذا التضعيف في بنية المفردة هو المبالغة ومن ذلك :

يُنْسِيَنَّكَ :

في قوله تعالى : ]وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ وَإِمَّا يُنْسِيَنَّكَ الشَّيْطَانُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرَى مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ [(الأنعام : ٦٨ ) إختلفوا في قراءة ]يُنْسِيَنَّكَ[ ( كلهم قرأ ]يُنْسِيَنَّكَ[ ساكنة النون الأولى وبتشديد الثانية غير ابن عامر فإنه قرأ ]يُنَسِّيَنَّكَ[ بفتح النون الأولى وتشديد السين مع النون الثانية)(٤٠) وذكر ابن عطية دلالة تشديد السين

في قراءة ابن عامر يقول : « وقرأ ابن عامر وحده ]يُنْسِّيَنَّكَ[ (٤١) بتشديد السين وفتح النون

والمعنى واحد , إلا أنَّ التشديد أكثر مبالغة "(٤٢(

ويتضح مما تقدم أنَّ التشديد قد ترك أثرا في دلالة المفردة وإن كانت المفردة بالتشديد والتخفيف تؤدي معنى واحدا كما ذكر ابن عطية إلا أنَّ قراءة التخفيف لا تخلو من الدلالة على أنَّ مجالسة الذين يخوضون في آيات الله هي من فعل الشيطان ووسوسته في نفس الأنسان لينسيه الشيطان ذكر الله , أمَّا قراءة التشديد فدلت على تأثير الشيطان عليه حتى يجلس مع الذين يخوضون في آيات الله وإن و سوس الشيطان في نفسه وأغواه بمكره يتوجب عليه أن يذكر ما أمر الله به من الآبتعاد عن مجالستهم ومنادمتهم .(٤٣)

ويتبين مما تقدم أنَّ ابن عطية قد أدرك أثر التشديد في دلالة الألفاظ وإن لم يكن يحدث ذلك التشديد تغييرا جذريا في دلالة المفردة ألا أنَّه أكسب المفردة دلالة مضافة إلى دلالتها الأصلية .

٢- يُنَزِّلُ :

وردت هذه اللفظة في قوله تعالى : ]أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُزْجِي سَحَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُ ثُمَّ يَجْعَلُهُ رُكَامًا فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ جِبَالٍ فِيهَا مِنْ بَرَدٍ فَيُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَصْرِفُهُ عَنْ مَنْ يَشَاءُ يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِ يَذْهَبُ بِالْأَبْصَارِ [ ( النور: ٤٣) قرئت] يُنَزِّلُ[ بتشديد الزاي وتخفيفها , فقرأ بالتشديد عاصم والأعرج , وقرأ بالتخفيف ابن كثير وأبو عمرو ويعقوب(٤٤) . وقد التفت ابن عطية إلى دلالة ( ينزل ) في قراءة من قرأ بالتشديد يقول : « وقرأ عاصم والأعرج ]يُنَزِّلُ[ على المبالغة والجمهور على التخفيف "(٤٥)

ويتضح من النص المتقدم أنَّ التشديد قد ترك أثرا في دلالة مفردة ( ينزل ) فهي مع التشديد تعني المبالغة في نزول البرد من السماء , أي طبيعة نزوله تتعدى حدود ذلك النزول الطبيعي المعتاد الذي اعتاده البشر لذلك دل التشديد على المبالغة مثلما ذكر ابن عطية , والسياق الذي وردت فيه مفردة ( ينزل ) في أشد الحاجة إلى ذلك التشديد الذي دل على المبالغة تناسبا مع مفرداته التي تدل على الكثرة والمبالغة ومن هذه الألفاظ ( الجبال ) فلم يذكر سبحانه جبلا واحدا من ذلك البرد المتجمد بل ذكر سلسلة من الجبال المغطاة بالبرد فضلا عن شدة توهج نور البرق المرافق للبرد فكان ذلك دليلا على كثرة البرد النازل من السماء لذلك كان السياق الذي وردت فيه لفظة( ينزّل ) بالتشديد في حاجة كبيرة إلى التشديد الذي دلّ على المبالغة في النزول .

ووجدت مثل ذلك في لفظة ( قتّلت )(٤٦) و( ففتّحنا ) (٤٧) و( صرّفنا )(٤٨) وغيرها .

ب- التكثير : -

من بين المعاني التي ينصرف إليها اللفظ عند دخول التشديد في بنيته التكثير لأنَّ التضعيف في عين الفعل يدل على تكثير الفعل وتكراره مثل ( قطع وقطّع ) وقد جاءت طائفة من الألفاظ في القرآن الكريم اختلف القراء في قراءتها فمنهم من قرأ بالتخفيف ومنهم من قرأ بالتشديد لبيان معنى التكثير وقد وقف ابن عطية عند طائفة من الألفاظ ذاكرا ما ورد فيها من قراءات مختلفة بين التخفيف والتشديد موضحا الدلالات الناجمة عن كل قراءة ومن الألفاظ التي أشار إليها لفظة ( قطعن ) الواردة في قوله تعالى : ]وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ [ ( يوسف : ٣١ ) ولاشك أنَّ هناك معنى زائدا في لفظة (قَطَّعْنَ ) التي وردت بالتشديد في الآية الكريمة إذ إنَّ تضعيف الحرف في اللفظة يؤدي إلى اختلاف دلالتها وهذا ما ذكره ابن عطية بقوله : " وقوله تعالى: ] وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ [أي أكثرن الحز فيها بالسكاكين , وقال عكرمة : ( الأيدي ) هنا الأكمام وقال مجاهد هي الجوارح , وقطعنها حتى ألقينها .

يقول ابن عطية : فظاهر هذا أنَّه بانت الأيدي , وذلك ضعيف من معناه , وذلك أنَّ قطع العظم لا يكون إلا بشدة , ومحال أن يسهو أحد عنها , والقطع على المفصل لا يتهيأ إلا بتلطف لا بد أن يقصد , والذي يشبه أنهن حملن على أيديهن الحمل الذي كن يحملنه قبل المتك فكان ذلك حزاً وهذا قول الجماعة. وضوعفت الطاء في] وقطّعن[ لكثرتهن وكثرة الحز فربما كان مراراً "(٤٩) وقال الطبري (ت٣١٠هـ ): ( وقوله :] وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ [ آختلف أهل التأويل في معنى ذلك فقال بعضهم معناه : أنهن

حززن بالسكين في يديهن وهن يحسبن أنهن يقطعن الأترج )(٥٠)

وفي ضوء ما تقدم يتضح أنَّ التشديد يدل في الآية الكريمة على كثرة الحز فربما كان مرارا وهذا الذي ذكره ابن عطية في وقوفه على لفظة ( قطعن ) في الآية الكريمة . ونجد مثل ذلك في

مواضع آخرى (٥١) أمَّا التخفيف فهو ما يقابل التشديد وله أثر دلالي في الألفاظ وقد وردت في القرآن الكريم ألفاظ آختلف في قراءتها بين التخفيف والتشديد .

وقد أشار ابن عطية إلى عدد من الألفاظ التي قرئت بالتخفيف والتشديد موضحا الدلالة التي تنصرف أليها اللفظة في كل حال كما تقدم ذكره ومن ذلك أيضا لفظة ( ميّت وميْت ) وهي من الألفاظ التي أشار إليها ابن عطية وذكر آختلاف دلالتها بين التخفيف والتشديد وذلك في قوله تعالى : ]وَتُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ [ ( آل عمران : ٢٧ ) وردت لفظة ]الْمَيِّتِ[ بالتشديد وهي قراءة حفص عن عاصم , وقرئت بالتخفيف وهي قراءة ابن كثير وعاصم (٥٢) ولا شك أنَّ هناك اختلافا كبيرا بين القرآتين فدلالة التي بالتشديد غير دلالة (ميْت ) التي بالتخفيف وقد أشار إلى ذلك ابن عطية يقول : " ]الْمَيْتِ[ بالتخفيف إنَّما يستعمل في ما قد مات وأمَّا ]الْمَيِّتِ[ بالتشديد فيستعمل في ما قد مات وفيما لم يمت بعد "(٥٣) ووقف الطوسي ( ت ٤٦٠هـ ) عند هذه المسألة يقول : ( والفرق بين تخفيف الياء وتشديدها أنَّ الميت بالتخفيف الذي قد مات وبالتثقيل الذي لم يمت قال المبرد: ولا خلاف بين علماء البصريين أنهما سواء وأنشد لآبن الرعلاء الغساني : (٥٤)

ليس مَن مات فاستراح بمَيْت
إنّما المَيْت ميّت الأحياء
إنّما الميت من يعيش كئيباً
كاسفا باله قليل الرجاء

فجمع بين اللغتين وإنما كرر في عدة مواضع في القرآن لما فيه من عظم المنفعة وجزيل الفائدة. )(٥٥)

ويبدو مما تقدم أنَّ ما ورد عن ابن عطية في بيان دلالة اللفظة أخذه من أستعمال العرب لها وهو يرى أنَّ لفظة (ميّت ) بالتشديد أعم من لفظة (ميْت ) بالتخفيف لأنَّ الثانية تدل على من فارقته الروح فهو ( ميْت ) أمَّا لفظة ( ميّت) فإنَّها تصلح لمن فارقته الروح ولمن لم يمت بعد فهي أعم من ( ميْت) .

ولعل الراجح مما جاء في القرآن الكريم هي قراءة من قرأ (ميْت ) بالتخفيف وذلك لأنَّ سياق الآية قد أشار إلى ( الميْت ) الذي قد مات وقراءة ميت بالتخفيف هي الأكثر إنسجاما مع السياق العام للآية الكريمة .

ثالثا: الإبدال

الإبدال ظاهرة لغوية مشتركة بين الصوت والتصريف منها ما هو قياسي يخضع لظوابط محددة مثلما يحصل في صيغة ( افتعل ) ومنها ما يتصل باللهجات العربية مثل قول العرب ( جدث وجدف ) ويقصد به إحلال حرف مكان حرف آخر في بنية المفردة يكون مقاربا له في الصفة أوالمخرج أو كليهما(٥٦) . مع الإبقاء على سائر أحرف الكلمة ويؤدي هذا الإبدال إلى أحداث أثر في دلالة المفردة نتيجة لما يحمله هذا الحرف من قيمة تعبيرية ويدخل الإبدال بنية الكلمة في جميع حروفها فقد يكون الإبدال في الفاء أو العين أو اللام , وقد ورد في تفسير ابن عطية ما يمثل هذه الظاهرة مع الإشارة إلى الأثر الدلالي الذي يحدث نتيجة هذا الإبدال وفيما يأتي عرض لما ذكره ابن عطية :

أولا : - الإبدال بين الصوامت : -

١-الإبدال في فاء الكلمة :

يحدث بين الأصوات التي بينها تقارب في المخرج والصفة وقد أشار ابن عطية إلى ذلك في حديثه عن هذا الإبدال في طائفة من المفردات منها :

بكة ومكة :-

يحدث الإبدال بين الباء والميم لأنَّهما متقاربان في المخرج فهما من الأصوات الشفوية(٥٧) , وقد أشار ابن عطية إلى ذلك في تفسير قوله تعالى : ]إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ [ ( آل عمران : ٩٦ ) فقد ذكر حين فسر هذه الآية أنَّ هذا من الإبدال بين الميم والباء موضحا الأثر الدلالي الذي نتج عنه يقول : " وآختلف الناس في ] بَكَّةَ[ فقال الضحاك وجماعة من العلماء : ( بكة هي مكة , فكأن هذا من إبدال الباء بالميم على لغة مازن وغيرهم , وقال ابن جبير وابن شهاب وجماعة كثيرة من العلماء مكة الحرم كله و ] بَكَّةَ[ مزدحم الناس حيث يتباكون , وهو المسجد وما حول البيت , وقال مالك في سماع ابن القاسم من العتيبة :] بَكَّةَ[ موضع البيت , ومكة غيره من المواضع قال ابن القاسم : يريد القرية قال الطبري : ما خرج عن موضع الطواف فهو مكة لا بكة , وقال قوم : ] بَكَّةَ[ ما بين الجبلين ومكة الحرم كله "(٥٨)

ويبدو من النص المتقدم اضطراب الأقوال في هاتين

المفردتين وهل هما موضعان أو حدث فيهما إبدال بين الباء والميم ؟ وحين نجعل هذا من باب الإبدال كما أشار بعضهم إلى ذلك لتقارب المخرجين بين الميم والباء أو لأنهما من الأصوات الشفوية مما يسوغ الإبدال بينهما نجد أنَّ لكل منهما دلالة مختلفة فمفردة (بكة ) بالباء تعني المكان الذي يزدحم فيه الناس(٥٩) وهو المسجد وذلك ؛ لأنَّ المسجد هو الذي يكون فيه الازدحام للطواف لا غيره من المواضع ولعلهم عدلوا في ذلك من حرف الميم إلى الباء في مفردة ( بكة) وذلك لما عرفت به الباء من الغلظة والشدة (٦٠) , لذلك كانت ( الباء) أكثر مناسبة لدلالة لفظة ( بكة ) وهي تزاحم الناس فيما بينهم ,أمَّا ( مكة ) بالميم فهي تعني الحرم كله وما حوله من المواضع الآخرى ومنهم من قال هي اسم للقرية كلها ولذلك أقاموا (الميم ) في ( مكة ) بدلا من حرف (الباء) وذلك لما دل عليه حرف الميم من الجمع(٦١) لذلك ناسبت الدلالة التي دلت عليها مفردة ( مكة ) والتي تعني مك الماء واستخراجه والجد في جمعه وذلك لقلة ماء مكة (٦٢) .

ويتضح مما تقدم أنَّ الإبدال الحاصل في لفظة ( مكة ) أدى إلى تغيير دلالة المفردة وهذا ما تنبه عليه ابن عطية ومعه جمع من المفسرين ومنهم الطبري(٦٣) والبغوي(٦٤) ويمثل هذا الإبدال بين ( الباء والميم ) ظاهرة لهجية شاعت في استعمال القبائل البدوية ومنها قبيلة أسد(٦٥) , وحين نحتكم إلى سياق الآية الكريمة نجد أنَّ حديث هؤلاء المفسرين ومنهم ابن عطية لا مسوغ له في هذا الباب ؛ لأنَّ الله سبحانه وتعالى حينما وضع لفظة ( بكة ) في هذا الموضع لم يكن المقصود إبدالها من مكة وإنَّما جيء بلفظة ( بكة ) للتعبير عن الدلالة التي تحملها وهي بك الناس بعضهم بعضا في الزحام ومن ذلك فإنَّ الذهن ينصرف إلى المكان الذي يزدحم فيه الناس وهو المكان المتعارف عليه في مكة ( المسجد الحرام ) فالمقصود من بكة الموضع الذي يكثر فيه الزحام ويبك الناس بعضهم بعضا .

٢- الإبدال في عين الكلمة :-

مثلما جرى الإبدال في فاء الكلمة يجري في عين الكلمة ويشترك هذا الإبدال في إحداث تغيير في دلالة المفردة ومما ذكره ابن عطية لفظة ( شغفها ) التي وردت في قوله تعالى : ]قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا[ ( يوسف : ٣٠ ) أشار إلى أنَّ في الآية قراءتين أحداهما ]شَغَفَهَا [بالغين وهي الموافقة لرسم المصحف والآخرى ( شعفها ) بالعين وقد جرى الإبدال بين حرفي ( الغين والعين) في هذه اللفظة لأنَّهما حرفان متقاربان في الصفة ولأنَّهما صوتان مجهوران مما يجعل الإبدال بينهما سائغاً وقد ترك هذا الإبدال أثرا في دلالة اللفظة ذكره ابن عطية حين فسر هذه الآية بقوله : " و ]شَغَفَهَا[ معناه : بلغ حتى صار من قلبها موضع الشغاف , وهو على أكثر القول غلاف من أغشية القلب "(٦٦) ثم ذكر في الشغاف قولين : أحدهما : ( الشغاف ) : سويداء القلب , والآخر الشغاف : داء يصل إلى القلب .(٦٧)

ثم روى قراءتها بالعين يقول: ( قرأ أبو رجاء والأعرج وعلي بن أبي طالب والحسن بخلاف ويحيى بن يعمر وقتادة بخلاف وثابت وعوف ومجاهد وغيرهم : ( قد شعفها ) بالعين غير منقوطة(٦٨) , ولذلك وجهان : أحدهما أنَّه علا بها كل مرقبة من الحب , وذهب بها كل مذهب فهو مأخوذ - على هذا - من شعف الجبال وهي رؤوسها وأعاليها , ومنه قول النبي صلى الله عليه وسلم : ( يوشك أن يكون خير مال المسلم غنماً يتبع بها شعف الجبال ومواقع القطر يفر بدينه من الفتن ) (٦٩) . والوجه الآخر أن يكون الشعف لذة بحرقة يوجد من الجراحات والجرب ونحوها ومنه قول امرىء القيس : (٧٠)

أيقْتُلُني وقد شَعَفتُ فؤادَها
كما شَعَفَ المهنوءةَ الرجلُ الطالي

والمشعوف في اللغة الذي أحرق الحب قلبه ,

ومنه قول الأعشى :(٧١)

تعصي الوشاةَ وكان الحبّ آونة
مما يُزيّن للمشعوفِ ماصنعا"(٧٢)

وقد ذكر ذلك المعنى غير واحد من المفسرين , وقد اختلفوا في توجيه دلالة لفظة ( شغف ) التي بالغين ( وشعف ) التي بالعين , فذكرت طائفة منهم أنَّ دلالة لفظة ( شغف ) التي بالغين تدل على أنَّ حب النبي يوسف (عليه السلام ) قد خرق حجاب قلبها(٧٣) وقال آخرون : إنَّ حبه قد بلغ سويداء قلبها(٧٤) ومنهم إلى أنَّ حبه ( عليه السلام ) قد دخل تحت شغاف قلبها وغلب عليه.(٧٥ )

وأمَّا دلالة لفظة ( شعف ) التي بالعين فهي أنَّ حب النبي يوسف ( عليه السلام ) قد أحرق قلب زليخة والأصل في ذلك مأخوذ من طلي البعير بالقطران إذا أصيب بمرض ما أو أنَّها تدل على أنَّ الحب قد ذهب بها كل مذهب وأصل ذلك مأخوذ من رؤوس الجبال وأعاليها. (٧٦)

وعلى الرغم من هذه الاختلافات فإنَّ لفظة ( شغف ) تدل على أنَّ الحب قد وصل إلى شغاف قلبها , و(الشغاف)

لغة : هو غلاف يحيط بالقلب فهو دونه كالحجاب(٧٧) ,وقد أوحى بذلك صوت ( الغين ) الرخو المجهور(٧٨) الذي يدل على الغموض والخفاء وفي دلالته هذه يكون أكثر مناسبة لدلالة (شغف) وأمَّا من قرأ ( شعف ) بالعين فأراد بها أنَّ الحب قد ذهب بها كل مذهب فحبه قد ترك لوعة وحرقة في قلبها وقد أوحى بذلك صوت العين المجهور(٧٩) الذي يعد من أنصع الحروف وأفخمها جرسا (٨٠) والذي يدل على الظهور والعلانية , وفي دلالته هذه يكون أكثر مناسبة مع دلالة ( شعف) . وأمَّا الراجح من بين القرآتين فهي قراءة من قرأ ( شغف ) بالغين وذلك لدلالتها التي تعد أكثر انسجاما مع السياق الذي وردت فيه اللفظة ورسم المصحف .

٣- الإبدال في لام الكلمة :-

تتأثر المفردات حين يحدث الإبدال في لامها مثلما تأثرت المفردات التي حدث الإبدال في فائها وعينها , وأشار ابن عطية إلى هذا الإبدال حين تحدث عن قوله تعلى: ] قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّأُ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَى غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مَآرِبُ أُخْرَى [ ( طه : ١٨ ) يقول: " ] أَهُشُّ [ ومعناه : أخبط بها الشجر حتى ينتثر بها الورق للغنم و( أهس ) معناه أزجر بها الغنم وأخوَّف "(٨١) ويحصل الإبدال بين الشين والسين لأنَّهما من الأصوات المتقاربة في صفة الهمس (٨٢) , وقد قرئ الفعل ( أهش ) بالشين وهي قراءة إبراهيم ( وأهس ) بالسين وهي قراءة عكرمة (٨٣) . وأشار آبن عطية إلى اختلاف دلالة لفظة ( أهش ) بالشين المعجمة عن ( أهسّ ) بالسين المهملة وقد ذكر الزمخشري ذلك المعنى يقول : ( ]وَأَهُشُّ بِهَا عَلَى غَنَمِي[ هش الورق خبطه أي : أخبطه على رؤس غنمي تأكله ... وعن عكرمة ( أهس ) بالسين أي أنحى عليها زاجرا لها . والهس : زجر الغنم )(٨٤) .

ويبدو مما تقدم أنَّ هذا الإبدال نتج عنه تغيير في دلالة لفظة ( أهش ) عندما قرئت بالسين وذلك أنَّ دلالة ( أهش ) بالشين هي ضرب أغصان الشجر ليتناثر ورقها على رؤس الغنم فتأكله(٨٥) و( أهس ) بالسين تعني زجر الغنم (٨٦) , وأبدلوا السين بالشين في لفظة ( أهش ) لدلالة ( الشين ) على التفشي وعدم الأنتظام(٨٧) , لذلك ناسبت ( أهش ) التي دلت على ضرب أغصان الشجر بالعصا ليتساقط ورقه على رؤوس الأغنام فكانت طبيعة تساقط الورق تساقطا متفشيا وغير منتظم .

وأبدلوا الشين بالسين في لفظة ( أهس ) لأنَّ صوت السين من أصوات الصفير(٨٨) , والصفير يمنح الأصوات شيئا من القوة لذلك ناسبت لفظة ( أهس ) التي تدل على الزجر والأمر وخاصة أنَّ السين من الأصوات التي تتأثر بالسياق لذلك دلت على الشدة والعنف على الرغم من أنَّها صوت رخو مهموس مرقق(٨٩) .

أمَّا القراءة الأرجح من هاتين القراءتين فهي قراءة من قرأ ( أهش ) بالشين لكونها أكثر مناسبة للسياق الذي وردت فيه من قراءة ( أهس ) بالسين وذلك لعلتين :

إحداهما : -

إنَّ قراءة من قرأ ( أهس ) بالسين هي من القراءات الشاذة التي انفرد ابن جني بذكرها في ( المحتسب )(٩٠) وقد أكد ذلك الطبرسي ووصفها من الشواذ(٩١).

ثانيهما : -

أنَّ النبي موسى ( عليه السلام ) لو كان في جوابه لفظة ( أهس ) كان عليه أن يقول : ( أهس بها غنمي ) لكنه قال :] عَلَى غَنَمِي[ فضلا عن أن قوله : ]وَأَهُشُّ بِهَا عَلَى غَنَمِي[ فيه دلالة كبيرة على رقة قلب النبي موسى ( عليه لسلام ) وعاطفته التي بعثته إلى الرحمة بأغنامه ليجعل من العصا أداة لطعامها بدلا من ضربها وزجرها وفي ذلك دلالة على الخلق الكريم الذي تمثل في شخصية النبي موسى ( عليه السلام ) , وفي قوله :] عَلَى غَنَمِي[ دلالة حرف الجر على الفوقية الذي جعلت التعبير القرآني على لسان موسى يقول:] عَلَى غَنَمِي[ بدلا من ( بها غنمي) فدلالة الفوقية المتمثلة بحرف الجر( على ) توحي بأنَّه ( عليه السلام ) كان يضرب أغصان الشجر لطعامها .

وفي ضوء ما تقدم تكون ( أهش ) بالشين هي القراءة الأولى والأرجح وخاصة أنَّ رسم المصحف جاء موافقا لقراءة من قرأ ( أهش ) بالشين .

ثانيا : - الإبدال بين الصوائت :-

ذكر ابن عطية الإبدال الحاصل بين الصوائت القصيرة - الحركات - موضحا أثر هذا الإبدال في دلالة اللفظة لأنَّ كل حركة لها دلالة محددة تعبر عنها في التركيب لذلك كانت العرب تفرق بين دلالة لفظة وأخرى باختلاف حركة حرف من حروفها في بنية الكلمة ويختارون ( صوت الحركة الأقوى للمعنى الأقوى والصوت الأضعف للمعنى الأضعف)(٩٢) , وقد يحدث هذا الإبدال تغييرا جذريا لدلالة اللفظة ومثال ذلك قولهم : ( التلّة , والتِّلة , والتُّلة ) التلة بالفتح : الصوت وبالكسر : الهلكة وبالضم : الجماعة من الناس(٩٣) . وقد ورد في تفسير ابن

عطية ما يمثل هذه الظاهرة مع الآشارة إلى الأثر الدلالي الناتج من تناوب الحركات فيما بينها في اللفظة الواحدة وفيما يأتي عرض لما ذكره آبن عطية في ( المحرر الوجيز ) :

١- الإبدال بين الكسر والفتح :-

يكثر الإبدال بين الفتح والكسر بسبب التأثيرات اللهجية ودخول المستويات اللهجية في المستوى الموحد الفصيح(٩٤) وقد وردت في تفسيرابن عطية اشارات إلى هذه الظاهرة في عدد من الألفاظ منها

عِوج وعَوج : -

في قوله تعالى : ]قُرْآنًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِي عِوَجٍ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ [( الزمر : ٢٨ ) أشار ابن عطية إلى اختلافَ المفسرين في لفظة ( عوج ) بفتح العين وكسرها , ولاشك أنَّ هذا الاختلاف في حركة الحرف الأول يؤدي إلى اختلاف في دلالة اللفظة يقول : " نفى عنه العوج لأنَّه لا إختلاف فيه ولا تناقض ولا مغمز بوجه , واختلفت عبارة المفسرين , فقال عثمان بن عفان : المعنى غير متضاد قال ابن عباس : غير مختلف , وقرأ مجاهد , غير ذي لبس , وقال

السدي : غير مخلوف , وقال بكر المزني : غير ذي لحن , والعوج بكسر العين في الأمر والمعنى وبفتحها في الأشخاص "(٩٥)

و مما تقدم أنَّ دلالة لفظة ( العوج ) في حال فتح الفاء هو العوج الذي يكون في الأشخاص والأعيان ودلالتها في حالة كسر الفاء هوالعوج الذي يكون في الأقوال والآراء أي في

الأمور المعنوية(٩٦) وهذا ما ذكره ابن عطية في تفسيره . والظاهر أنَّ الراجح هو استعمال اللفظة بكسر العين لأنَّه الأكثر ملائمة للسياق وذلك لأنَّ الله سبحانه نفى العوج عن القرآن الكريم وخاصة أنَّ القرآن ما هو إلا أقوال وأحكام أنزلها الله سبحانه على نبيه الكريم ( صلى الله عليه وآله وسلم ) لذلك كانت لفظة ( العوج ) التي بالكسر أرجح من لفظة ( العوج ) التي بالفتح .

٢- بين الفتح والضم :-

مثلما حصل الإبدال بين الفتح والكسر وترك أثرا دلاليا ملموسا في دلالة ألألفاظ كذلك يحصل الإبدال بين الضم والفتح وقد أشار ابن عطية إلى ذلك في حديثه عن قوله تعالى : ]وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا [ (الأعراف : ١٤٦) يقول : " الرشد بضم الراء الصلاح في النظر و ]الرَّشْدِ[ بفتحها في الدين"(٩٧)

يبدو من النص المتقدم أنَّ هناك اختلافا في دلالة لفظة ]الرُّشْدِ[ تبعا لاختلاف حركة الحرف الأول منها فإذا كانت مضمومة الراء دلت على الصلاح في النظر ومما يدل على ذلك ما جاء في قوله تعالى : ] وَابْتَلُوا الْيَتَامَى حَتَّى إِذَا بَلَغُوا النِّكَاحَ فَإِنْ آنَسْتُمْ مِنْهُمْ رُشْدًا فَادْفَعُوا إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ [( النساء : ٦ ) أي : صلاحا(٩٨) , وقوله تعالى : ] وَلَقَدْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا بِهِ عَالِمِينَ [(الأنبياء : ٥١ ) أي : توفيقه وصلاحه(٩٩) , أمَّا ] الرَّشْدِ[ بفتح الراء تدل على الصلاح في الدين(١٠٠) ؛ ودليل ذلك ما جاء في قوله تعالى : ]إِذْ أَوَى الْفِتْيَةُ إِلَى الْكَهْفِ فَقَالُوا رَبَّنَا آتِنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا [(الكهف : ١٠ ) وقوله تعالى : ]إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ وَاذْكُرْ رَبَّكَ إِذَا نَسِيتَ وَقُلْ عَسَى أَنْ يَهْدِيَنِ رَبِّي لِأَقْرَبَ مِنْ هَذَا رَشَدًا [(الكهف : ٢٤ ) وقوله تعالى : ] وَأَنَّا مِنَّا الْمُسْلِمُونَ وَمِنَّا الْقَاسِطُونَ فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُولَئِكَ تَحَرَّوْا رَشَدًا [( الجن : ١٤) ولعل دلالة ]الرُّشْدِ[ بالضم نابعة من ثقل حركة الضم لأنَّ الثقل يناسب صعوبة مهمة إصلاح الأمور الدنيوية وبالعكس تكون دلالة الفتحة وهي الحركة الخفيفة . والمفردة بضم الراء وفتحها كل منهما مناسبا في سياقه وإنَّ الرسالة التي جاء بها النبي محمد ( صلى الله عليه واله وسلم ) هي للإصلاح في الأمور الدينية والدنيوية لأنَّ الهدف منها بناء مجتمع إسلامي يقوم على ما ورد في القرآن الكريم وفي القرآن نجد إصلاح الجانب الديني والدنيوي للمسلمين. ومثال ذلك نجده في حديثه عن لفظة( طولا )(١٠١) و( الضر)(١٠٢) و( الهيام )(١٠٣) فأشار فيها إلى اختلاف دلالتها باختلاف حركاتها .

٣- بين الضم والكسر :-

الضم والكسر من الحركات الثقيلة وقد يحدث الإبدال بينهما في بعض الألفاظ فتختلف دلالتها تبعا لذلك , وأشار ابن عطية إلى ذلك الأختلاف بين الضم والكسر في لفظة (هدنا) وذلك في قوله تعالى : ] إِنَّا هُدْنَا إِلَيْكَ[ ( الأعراف : ١٥٦ ) وذكر اختلاف قراءتها فقرئت ]هُدْنَا[ بضم الهاء وكسرها وهي قراءة أبي وجزة السعدي(١٠٤). وعلى ذلك أشار إلى إختلاف دلالتها يقول: « ]هُدْنَا [بضم الهاء معناه تبنا و ]هِدْنَا[ بكسر الهاء ومعناه حركنا أنفسنا وجذبناها لطاعتك ... "(١٠٥)

وإلى جانب ابن عطية أشار المفسرون إلى أنَّ المقصود من لفظة ]هُدْنَا[ بضم الهاء التوبة ,وبالكسر الميل لطاعة الله سبحانه(١٠٦) .

ونخلص مما تقدم أنَّ إختلاف حركة الحرف الأول من لفظة

]هُدْنَا[ أدى إلى اختلاف دلالتها فهي بالضم تدل على التوبة إلى الله , وبالكسر تدل على الميل لطاعة الله سبحانه(١٠٧) .

والظاهر أنَّ إشارة ابن عطية إلى دلالة لفظة (هدنا ) بضم الهاء التي تدل على التوبة نابع من ثقل الحركة وهي الضم لأنَّ الثقل يناسب صعوبة مهمة التوبة وبعكس ذلك تكون دلالة الكسر.

ولعل قراءة من قرأ ]هُدْنَا[ بضم الهاء هي الراجحة لدينا وأكثر ملائمة مع سياق الآية من غيرها و موافقة في ذلك خط المصحف الذي وردت فيه لفظة ]هُدْنَا[ بضم الهاء .

استنادا إلى ما تقدم يتضح أنَّ ابن عطية كان مدركا لأثر الصوت وفاعليته في تحديد دلالة الألفاظ ويبدو ذلك واضحا مما عرضنا له آنفا إذ كانت وقفاته الدلالية في تفسير الآيات القرآنية الكريمة خير شاهدٍ على قدرته في تحديد دلالات الألفاظ , إذ إنَّه كان يمتلك القدرة على التمييز بين دلالة لفظة وأخرى وإن اختلفت عنها بتغير صامت واحد أو صائت وإن كان في ذلك دليل فإنَّه يدل على خزينه اللغوي الوافر وثقافته المتنوعة .

## المصادر والمراجع


١) ظ: المزهر في علوم اللغة : جلال الدين عبد الرحمن السيوطي : ١/ ٤٧
٢) العين : الخليل : ٥/ ٦٠ ( ق,ص, ر)
٣) كتاب سيبويه : ٤/ ١٢٨
٤) الخصائص : أبو الفتح عثمان بن جني : ٢/ ١٥٢
٥) الخصائص : ١٥٨/٢
٦) المصدر نفسه : ٢/ ١٦٢-١٦٣
٧) ظ: القرائن اللغوية في الأصوات المفردة في القرآن الكريم : د. عدويه عبد الجبار : ٦١ ( بحث )
٨) التطور الدلالي بين لغة الشعر الجاهلي ولغة القرآن الكريم : عودة خليل أبو عودة : ٨٠
٩) ظ: الكتاب : ٤/ ٥٧٢
١٠) العين : ١/ ٥٢
١١) الكتاب : سيبويه : ٤/ ٥٧٢
١٢) سر صناعة الأعراب : أبو الفتح عثمان بن جني : ١/ ٦٠
١٣) الأصوات اللغوية : د. إبراهيم أنيس : ٧٢-٧٣
١٤) ظ: المدخل إلى علم اللغة العام : د. رمضان عبد التواب : ٥٦
١٥) ظ: المصدر نفسه : ٥٧
١٦) ظ: الأصوات اللغوية : ٧٢- ٧٣
١٧) ظ: القراءات القرآنية في ضوء علم اللغة الحديث : د. عبد الصبور شاهين : ١٨
١٨) ديوان الأعشى : ٩٣ جاء في الديوان ( وبانَتْ وقد أورثت في الفؤا دِ صَدْعاً على نأيها مُسْتطيرا )
١٩) المحرر الوجيز: ابن عطية الأندلسي : ١/ ٥٦-٥٧
٢٠) ديوان النابغة : ١٨
٢١) مجاز القرآن : أبو عبيدة معمر بن المثنى : ١/ ٣-٥
٢٢) ظ: العين: ٧/ ٢٩٢ ( سأر ) , لسان العرب : محمد بن مكرم بن منظور : ٤/ ٣٨٦( سور )
٢٣) ظ: مجاز القرآن : ١/ ٣-٥
٢٤) ظ: الظواهر الصوتية في كتاب المحرر الوجيز : عبد القادر سيلا : ٧٥٦ - ٧٥٨ (رسالة ماجستير )
٢٥) ظ : الحجة للقراء السبعة : أبو علي الحسن بن أحمد بن عبد الغفار علي الفارسي : ١/ ٣٠٥
٢٦) المحرر الوجيز : ٥/ ٣٦٤
٢٧) المصدر نفسه : ٥/ ٣٦٥
٢٨) جامع البيان : أبو جعفر محمد بن جرير الطبري : ٢٩/ ٦٩

٢٩) الكشاف : ١ / ٦١١
٣٠) المحرر الوجيز : ٥/ ٣٦٤
٣١) ظ: لسان العرب : ١١/ ٣١٩ ( سأل )
٣٢) ظ : المصدر نفسه .
٣٣) التيسير في القراءات السبع : أبو عمرو عثمان الداني: ١٠٤
٣٤) المحرر الوجيز : ٣/ ٢٣٢ - ٢٣٣
٣٥) الكشاف : ٢/ ٤٦٣
٣٦) ظ: العين : ٤/ ٨٠ -٨١ (هيت)
٣٧) ظ: المصدر نفسه :٤/ ١٠٣ (هئت )
٣٨) ظ: الفروق الدلالية بين القراءات القرآنية العشر : أ. رانية محفوظ : ١١١
٣٩) الخصائص : ٢ / ١٥٣
٤٠) السبعة في القراءات : لابن مجاهد : ١/ ٢٦٠
٤١) جاءت قراءة مفردة ( ينسّينك ) في كتب القراءات عن ابن عامر بالشكل الذي ذكرته أعلاه وجاءت في ( المحرر الوجيز ) بهذا الشكل ( ينسنك ) بإسقاط الياء وأظنه خطأ في الطبع
٤٢) المحرر الوجيز : ٢/ ٣٠٤
٤٣) ظ: الكشاف : ٢/ ٣٤, البحر المحيط : أبو حيان الأندلسي : ٤/ ١٥٧, الميزان : السيد محمد حسين الطباطبائي :١٤٥/٧, الفروق الدلالية بين القراءات القرآنية العشر : ١٦٥
٤٤) ظ : إتحاف فضلاء البشر : شهاب الدين أحمد بن محمد عبد الغني الدمياطي : ٢/ ٤١٢
٤٥) المحرر الوجيز : ٤/ ١٩٠
٤٦) ظ: المحرر الوجيز : ٥/ ٤٤٢
٤٧) ظ: المصدر نفسه : ٥/ ٢١٤
٤٨) ظ: المصدر نفسه : ٣/ ٤٥٨
٤٩) المحرر الوجيز : ٣/ ٢٣٩
٥٠) جامع البيان : ١٢/ ٢٠٦
٥١) ظ : المحرر الوجيز : ١/ ٤٦٣ , ٣/ ٤٩٢ , ٢/ ١٢٦
٥٢) ظ: السبعة في القراءات : ابن مجاهد : ٢٠٣
٥٣) المحرر الوجيز : ١/ ٤١٨
٥٤) ظ: الأغاني : أبو الفرج الأصفهاني : ١٠/ ٣٠٨
٥٥) التبيان في تفسير القرآن : ٤٣٢/٢
٥٦) ظ: الإبدال : أبو الطيب عبد الواحد بن علي اللغوي : ٩
٥٧) ظ: سر صناعة الأعراب : ١/ ١٣١ , ٢/ ٨٩
٥٨) المحرر الوجيز : ١/ ٤٨
٥٩) ظ: العين:٤٢٥/١( بك) , لسان العرب : ١٠/ ٤٠٢(بكك)
٦٠) ظ: الصوت اللغوي ودلالاته في القرآن : د. محمد فريد عبد الله : ١٧
٦١) ظ: المصدر نفسه .
٦٢) ظ: المخصص : ١/ ١٦ , لسان العرب : ١٠/ ٤٩٠( مكك)
٦٣) ظ: جامع البيان : ٧/٣
٦٤) ظ: معالم التنزيل : أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي : ٢/ ٧٠-٧١
٦٥) ظ: لهجة قبيلة أسد : د. علي ناصر غالب : ٨٨
٦٦) المحرر الوجيز : ٣/ ٢٣٨
٦٧) ظ: المصدر نفسه .
٦٨) المحتسب: أبو الفتح عثمان بن جني : ٩/٢
٦٩) صحيح البخاري : ٣/ ١٣١٨, بحار الأنوار : العلامة الشيخ محمد باقر المجلسي : ٦٤/ ١١٧
٧٠) ديوان امرئ القيس : ١٤٢ , وجاءت لفظة ( شعفت )و (شعف ) بالعين المنقوطة أي ( الغين ) .
٧١) ديوان الأعشى : ١٢٠ , وجاءت لفظة ( للمشعوف ) بالعين المنقوطة أي ( الغين )
٧٢) محرر الوجيز : ٣/ ٢٣٨ ,
٧٣) ظ: معاني القرآن : ٢/ ٤٢, المحتسب : ١/ ٣٣٩ , الكشاف : ٢/ ٤٦٢
٧٤) إعراب القرآن : ٣/ ١٠٥
٧٥) فتح القدير : محمد بن علي الشوكاني : ٣/ ٢٥
٧٦) التبيان: ٦/ ١٢٩ , الكشاف : ٢/ ٤٣٦, الجامع لأحكام القرآن : أبو عبد الله محمد بن أحمد القرطبي : ٥/ ١٧٦ - ١٧٧ البحر المحيط : ٥/ ٣٠٠ , نظم الدرر: برهان الدين إبراهيم بن عمر البقاعي : ٤/ ٣٤ , روح المعاني : أبو الفضل شهاب الدين محمود الآلوسي : ٢٢٦/٦ , فتح القدير : ٢٤/٤
٧٧) ظ : والصحاح :الجوهري : ٤ / ١٣٨٢, ومقاييس اللغة : أبو الحسين أحمد بن فارس : ٣/ ١٩٥
٧٨) ظ:الكتاب : ٤/ ٥٧٣- ٥٧٤
٧٩) المصدر نفسه.
٨٠) ظ: العين : ١/ ٥٣
٨١) المحرر الوجيز : ٤١/٤
٨٢) ظ: سر صناعة الأعراب : ١/ ٢١١-٢١٧
٨٣) المحتسب : ٢/ ٩٤
٨٤) الكشاف : ٣/ ٥٩

٨٥) ظ: العين : ٣/ ٣٤٤ (هش) , لسان العرب : ٦/ ٣٦٤(هشش) , القاموس المحيط : مجد الدين الفيروز آبادي ٢/ ٢٩٣ ( هشّ), وأشار المفسرون إلى هذا المعنى منهم : الطبري في : (جامع البيان ) ١٦/ ١٥٥ الزمخشري في ( الكشاف ) ٣/ ٥٩ , السيوطي في ( الدر المنثور ) : ٤/ ٥٢٦

٨٦) ظ: تهذيب اللغة : أبو منصور محمد بن أحمد الأزهري : ٥/ ٢٣١( هسّ) , جمهرة اللغة : ابن دريد أبو بكر محمد بن الحسن الأزدي ١/ ٩٦ ( هس) , لسان العرب : ٦ / ٢٤٩(هسس) , القاموس المحيط : ٢/ ٢٥٩ ( هس ) , ذكر ذلك طائفة من المفسرين ومنهم البغوي في ( معالم التنزيل ) : ٥/ ٢٨٦ و الزمخشري في ( الكشاف ) : ١/ ٧٥١ .

٨٧) ظ: الخصائص : ٢/ ١٦١ , الصوت اللغوي ودلالاته في القرآن : ١٧

٨٨) ظ: القاموس المحيط : ٣/ ٣٣٨

٨٩) ظ: المدخل إلى علم اللغة : د. رمضان عبد التواب : ٦١

٩٠) ظ : المحتسب : ٢/ ٩٤

٩١) ظ: مجمع البيان : ٧/ ١٢

٩٢) آبن جني عالم العربية : د. حسام النعيمي : ٩٣

٩٣) ظ: في الأصوات اللغوية : د. غالب فاضل المطلبي : ٢٩٧- ٢٩٨

٩٤) ظ: المصدر نفسه .

٩٥) المحرر الوجيز : ٤/ ٥٢٩

٩٦) ظ: لسان العرب : ٢/ ٣٣٢ (عوج) , التبيان في تفسير القرآن : ٩/ ٢٣, الكشاف : ٤/ ٢٨ , الجامع لأحكام القرآن : ٢٥٢/٨

٩٧) المحرر الوجيز : ٢/ ٤٥٤

٩٨) ظ: جامع البيان : ٩/ ١٦

٩٩) ظ: المحرر الوجيز : ٤/ ٨٦

١٠٠) ظ: العين : ٦/ ٢٤٢, الحجة في القراءات السبع : ٩٠ , معالم التنزيل : البغوي : ٣/ ٢٨٢ الجامع لأحكام القرآن : ٤/ ٢٨٣

١٠١) ظ: المحرر الوجيز : ٢/ ٣٧

١٠٢) ظ: المصدر نفسه : ٢/ ٢٧٤

١٠٣) ظ: المصدر نفسه : ٥/ ٢٤٧

١٠٤) ظ: المحتسب : ١/ ٣٧٢

١٠٥) المحرر الوجيز : ٢/ ٤٦٠

١٠٦) ظ: أنوار التنزيل وأسرار التأويل : البيضاوي ١/ ٣٦٢ , الدر المنثور : السيوطي : ٣/ ٥٧١

١٠٧) ظ: لسان العرب : ٣/ ٤٣٩(هود ) , تاج العروس : الزبيدي : ٥ / ٣٣٩ (هود) .